

الاسم : طالب محمد كريم نعمة الله
المرحلة والقسم : ماجستير- الآداب – الفلسفة- الجامعة المستنصرية
عنوان الرسالة : الاستقلال الفلسفي في الفكر العربي المعاصر-ناصر
نصار أنموذجاً
الأستاذ المشرف : الأستاذ المساعد الدكتور علي عبد الهادي المرهج
العنوان : talib_٧٧٦٨@yahoo.com
موبايل : ٠٧٩٠٢٣٩٥٦٩٩

المخلص

الاستقلال الفلسفي ، فكرة توضح المنهج والطريق بغية الوصول إلى موقف فلسفي مستقل نابعة من الذات العاقلة المفكرة ، ترسم مساراً فلسفياً جديداً في الفكر العربي المعاصر من خلال الفعل الفلسفي . جاءت هذه الفكرة بسبب المشاكل الجمة التي يعيشها المجتمع العربي ، هذه المشاكل التي تعد من الأسباب الجوهرية التي ساهمت إلى حد ما في إعاقة تقدم عجلة ركب العرب عن ركب الحضارة العالمي ، إنّ إنتاج الحضارة والتقدم العلمي والمعرفي على جميع الأصعدة جاء نتيجة للنهوض الفكري والفلسفي وصدق ديكارت حين قال : (يزداد نصيب كل امة من الترقى والتهذيب بقدر تفلسف الناس فيها وان أعظم خير يمكن حصوله في دولة ما هو ان يكون فيها فلاسفة حقيقيون) ومنذ فترة ليست بقصيرة حاول مفكرو العرب المعاصرين أن يجيبوا عن سؤال موضوعي يحدد الإشكالية التي تقف وراء تخلف العرب وتأخرهم عن محيطهم الاجتماعي ، وفي الوقت نفسه نرى كل هذا التقدم للآخر ، بمعنى آخر لماذا يتأخر الشرق مقابل تقدم الغرب ؟ ومن هؤلاء المفكرين العرب الذين حاولوا الاجابة عن هذا السؤال المركزي المفكر العربي الدكتور ناصر ناصر ، الذي أسهم في جهد متصل في وضع الأسس الوطيدة لمدرسة عربية في الفلسفة منبثقة من مشروع نقدي تحليلي يتجه إلى الدعوة إلى تكوين مجتمع عربي جديد ، بعيد كل البعد عن العنصرية والتعصب ورفض الآخر. وقد طرح أجوبته و خلاصة أفكاره في العديد من الكتب في مقدمتها (طريق الاستقلال الفلسفي) و (مطارحات للعقل الملتزم) و (الفلسفة في معركة الأيديولوجيا) و (مفهوم الامة بين الدين والتاريخ) و (نحو مجتمع جديد) و (تصورات الامة المعاصرة) ورأى أن المشكلة الأساسية في الفكر الفلسفي هي في تعدد المواقف الفلسفية ومن أهمها موقفي الاتباع والتوفيق ، ان الموقفان لا يؤديان إلى حل الأزمة الفكرية ، ذلك لان الموقف الاتباعي

يتبنى العودة إلى التراث الماضي ، وأما الموقف التوفيقي فيحاول أن يجمع بين التراث والمعاصرة في إنتاج موقف توفيقي جديد يصلح بين الموقفين ، إلا أنهما يبقيان لا يفيان بالمطلوب ذلك لأنهما لا يحاولان الإجابة عن أسئلة اليوم بأجوبة اليوم ، بل يحاولان ان يبحثا عن أنموذج من الماضي أو اقتباس قضية ما ، وتقريبه من التاريخ المعاصر ، وعلى الرغم من ان الموقف التوفيقي يعد أحسن حالاً من الموقف الاتباعي إلا انه يظل في الاقتباس، إلا ان نصار يرى أن الحل يكمن في اتخاذ موقف فلسفي مستقل عن المواقف الفلسفية الأخرى، ولا يعني هذا رفض المذاهب الفلسفية في التاريخ الفلسفي، بل تقبلها وهضمها وتحويل العناصر الصالحة فيها في صناعة موقف فلسفي تصاغ له أجوبة ، عن فلسفة تقول لنا ما هي الحياة؟ ، ما معنى الحياة؟ ، ما هي القيم الحقيقية؟ ، إلى أين نسير ؟، (كل ما يتضمنه فعل الحياة) ، ما مضمون الحياة؟ ، تتناسب مع أسئلة اليوم ومتطلباتها المطروحة على الصعيد الإنساني والاجتماعي، السؤال هنا هو عن الجديد ، بتعبير آخر ليست تلك الأسئلة التي تدور حول المحور الثلاثي الذي هو عن (الله - الكون - الانسان) كما كانت يتداولها الفلاسفة في العصر الوسيط ، الجديد اليوم هي موقف الإنسان من التقدم العلمي في جوانبه المعرفية المتعددة ، موقف الإنسان في أنه إنسان ؟ ما هو مصيره ؟ كيف يعالج قلقه ؟ الخ ...

لذا جاء بحثنا موضعاً لأهمية الاستقلال الفلسفي سيما من منظور المفكر العربي ناصيف نصار، لقد تمّ تقسيم الرسالة إلى ثلاثة فصول مبتدأً بتمهيد يبيّن معنى الاستقلال الفلسفي في اللغة والاصطلاح مع التعريفات التي يتبناها نصار ، مع نبذة موجزة عن حياته ونشأته الفكرية الأكاديمية ، و أبرز المفاهيم المستعملة في فلسفته .

جاء الفصل الأول في ثلاثة مباحث ، في مجملها ، دراسات في المسارات والاتجاهات الفلسفية والفكرية في العصر الحديث والمعاصر ، من خلال شخصيات منتخبة تمثل هذه المسارات والاتجاهات الفكرية ، حاولت في المبحث الأول ، استعراض أهم الأفكار والرؤى للفكر السلفي وسميهاها بالماضوية ذلك إلى رؤيتهم في العودة إلى الماضي في شكل التراث الأول حلاً في الخلاص من النكبة التي يمر بها المجتمع العربي والاسلامي . وفي المبحث الثاني حاولت فيه بيان موضوعات النزعة الاستقلالية في الفكر العربي المعاصر ، من خلال أهم مفكرين عربيين هما: (سلامة موسى و زكي نجيب محمود)، حيث كان الأول يرى ان العلاج يكون من

خلال التوجه الكلي والشامل نحو الغرب المتقدم والانقطاع عن التراث العربي والإسلامي . ان أسباب التقدم والازدهار يتم تحقيقه من خلال اقتباس حضارة الغرب وعلومه حسب سلامة موسى . أما زكي نجيب فانه يمثل المسار الحداثي التوفيقي ، التوفيق بين التراث الماضي والأصالة المعاصرة ، يحاول أن يميز بين الموضوعات التراثية التي تتسجم مع متغيرات الواقع الاجتماعي ، ومع التقدم العلمي والتكنولوجي الحاصل اليوم في الدول والمجتمعات المتقدمة والمتطورة من خلال منهج علمي يبين به كل ذلك . إلا انه ظل يدور في دائرة مغلقة لا تتسجم مع متطلبات وحاجة المجتمع العربي ، ذلك لأن المشكلة الأساسية في الثقافة العربية الراهنة لم تعد مشكلة كمية ما تأخذه من الثقافة الغربية ، وليست في الوقت نفسه هي مشكلة الموائمة بين الثقافة الغربية والتراث العربي الاسلامي ، حيث يكون العمل فيها تركيب التراث مع العناصر التي تساعد في تقدم الحركة الفكرية والعلمية والثقافية ، في توليفة جديدة . الموقف التوفيقي مرفوض عند نصار حاله حال الموقف الاتباعي ، بالرغم من تقدمه درجة نحو الأمام قياسا بالموقف الاتباعي ، إلا انه بالرغم من هذا فقد أخرج المتمسكين بالتراث كأنه يقتفي كالفصيل اثر فصيله ، وأما المبحث الثالث من الفصل الأول ، فقد استعرضت الاتجاه النقدي المعاصر ، من خلال أبرز مفكرين عربيين معاصرين ، هما :

(فؤاد زكريا و مدني صالح) ، فقد حاولت معالجة المشاكل الجمة، التي تعد من المعوقات في اثر تقدم الحضارة العربية والاسلامية ، من خلال نقودات زكريا، حيث يرى ، ان الجهل والخرافة لها النصيب الاكبر في الثقافة العربية ، ليس على المستوى الفردي والساذج من الطبقة العامة حسب ، بل حتى على أعلى المستويات الفكرية والأكاديمية ، ويعتقد في خلاصة نتائجه وتقاريراته ان الصراع قد انتهى وحسم امره للعلم والنظريات العلمية . إن الجدل الدائر ومنذ فترة ليست قصيرة لا بد أن ينتهي كي يستطيع المجتمع العربي والاسلامي اللحاق بركب العصر فكراً وواقعاً حسب تعبيره ، وليس هذا وحسب بل هناك من الأسباب الأخرى التي ساعدت ولازالت تساعد في تأخر العمران البشري ألا وهي أجهزة الإعلام المرئي والسمعي والمكتوب والمقروء ، وسميت بسلطة الإعلام ، انها تعمل في الضغط المباشر والمستمر على ذهنية الفرد محاولة السيطرة والتحكم بنفسيته وإرادته من خلال الفنون الدعائية والإعلامية ، وغيرها من الأسباب الأخرى التي ناقشناها في أصل المبحث .واستعرضت أهم محاولات مدني صالح النقدية من خلال مؤلفيه (بعد خراب الفلسفة و بعد الطوفان) ، يحاول أن يجيب عن الكثير من الأسئلة المطروحة من

جانبا والتي يطرحها لسان حاله ، محاولاً توضيح الالتباس في المفهوم والمعنى حتى على مستوى المفكرين والأساتذة الأكاديميين وهو القائل : (إنني قد وجدت أن الفهرسة الثقافية في القرن العشرين مقلوبة على الرأس وتمشي إلى الوراء فالعلماء والأدباء والفنانون والساسة والأخلاقيون والمشرعون والمنهجيون وفلاسفة التاريخ يتحدثون عن الثقافة وهم يريدون المدنية أو الحضارة أو كليهما أو كليهما ومعهما الثقافة .. وفي هذا ما فيه من الخلط والإرباك والتشويش) ومن خلال ممارسة النقد يحاول أن يوضح الأشياء على صورتها الحقيقية لإزالة الغبار عن العيون وتسمية الأشياء بأسمائها ، في تفصيل أكثر سنراها هناك .

أما الفصل الثاني ، الذي جاء تحت عنوان (خطوات نحو تحقيق الاستقلال الفلسفي) ، فقد استعرضت أهم المقومات التي تعد بمثابة المقدمات الضرورية في تحقيق الاستقلال الفلسفي ، ومن أهمها موضوع الحرية ، في بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي ، ومدى حدودها ، هذه المساحة للحرية التي تأخذ بيدنا إلى موضوع آخر وهو حرية الاختيار في الدلالة على استقلال الإرادة و اتخاذ القرار بما تراه الذات العاقلة منسجمة مع تطلعاته . وممارسة الحرية والاختيار يجب أن تكونا مصحوبتان بالمسؤولية التي تضبط لنا ممارسة الحرية على مستوى الفرد والجماعة ، ولا بد ان لا تكون بمعزل عن ثقافة التسامح والممارسة العملية والواقعية في داخل المجتمع التي تعبر عن أعلى درجات النمو والترقي والازدهار ، ومن ثم بعد ذلك نصل إلى موضوعاً آخر لا تقل أهميته عن الأخريات ، وهي موضوع الشك ، الذي إن دلّ على شيء فإنه يدل على حرية الفكر واستقلال العقل عن جميع المؤثرات التي تحاول أن تجعل منه آلة تخدم الأصنام وأوهامها ، الشك الذي نقصده بالطبع هو الشك المنهجي الذي يحاول فيه المفكر أن يصل إلى الحقيقة ، والتي تعد هي تحصيل حاصل للمقدمات أو المنهج الذي يتبعه الباحث أو المفكر . وأيضاً مثلما هناك مقدمات تقود إلى إنتاج الاستقلال الفلسفي ، فهناك أيضاً معوقات تقف عائقاً في نهوض المجتمع ، فاستعرضت لأهم موضوعاتها .

أما المبحث الثاني ، فكان موضوعه بيان نوع العلاقة بين الفلسفة والتاريخ من جهة والفيلسوف والمؤرخ من جهة أخرى ، ومن ثم حاولت أن أبين موقف نصار من ذلك كله .

وحاولت في المبحث الأخير من الفصل الثاني ، أن أستعرض لأهم الموضوعات التي توضح لنا معالم الطريق نحو الاستقلال الفلسفي عند نصار ، وبما أن الإبداع والحدثة تعدان

من المفردات المهمة في عملية تطور وبناء الاستقلال ، فقد بينت معناها اللغوي والفلسفي في الفكر العربي المعاصر ، ذلك لأهميتهما ودلالاتهما على تحقيق الاستقلال الفلسفي .

وقسمت في الفصل الثالث (نحو نهضة عربية في مجتمع علمي علماني) المباحث إلى ثلاثة ، الأول التمييز بين الفكر الايديولوجي والفلسفة ، ولا يفوتني أن أذكر أن المسألة هنا ليست بالأمر اليسير ، فالمسألة معقدة إلى حد ما ، ودرجة التداخل والتمازج بينهما كبيرة ، قد تختلط على الباحث ، حتى قال لي الدكتور ناصيف نصار ، من خلال اتصال هاتفي جرى بيني وبينه ، حين سألته عن الموضوع ودرجة أهميته ، فقال ان المسألة ليست سهلة عليك وحتى على مستوى المفكرين العرب ، وربما هذا القول دفعني وحثني للخوض فيه ليس من باب المغامرة بقدر ما شعرت بأهميته وتأثيره في تحقيق مشروع الاستقلال الفلسفي .

الايديولوجيا لها الأثر الكبير والواسع سلباً في تقدم الحركة الفكرية والاجتماعية ، أنها تعمل في إعلان نصوص ظاهرية تخالف الباطن الحقيقي ، حتى تجعل من الفرد أن يكون خادماً للايديولوجيا ، وبذلك استعرضت لأهم الفقرات في محاولة استنهاض العقل لأنه عقل ، له من الخصائص والوظائف تجعل من الفرد أن يتفقه الأمور ويميز بينها ، وان لا يجعل من ذاته ضحية سهلة لأنياب الايديولوجيا .

لهذا السبب حاولت في المبحث الثاني أن أبين أهم النقاط المشتركة في درجة الاتصال والانفصال بين الفلسفة والايديولوجيا ، سواء في الجذور أم في الموضوعات الاجتماعية والتاريخية والمنهجية ، معتمداً في ذلك مقولة ناصيف نصار ، بان النظام الايديولوجي يتضمن دائماً نواة فلسفية ، هي بالنسبة إليه كالجذع بالنسبة إلى الشجرة .

أما المبحث الأخير من الفصل الثالث ، فقد أختص في تحديد نوع العلاجات الناجمة لحل المشاكل والمعوقات التي تحول دون نهضة المجتمع فكرياً وعلمياً وثقافياً واجتماعياً ، وفي إنتاج حضارة تنافس الحضارات المتطورة في المجتمعات المتقدمة، وتلك المشاكل قد توزعت على الجوانب التربوية والمنهجية والسلوكية ، لكي نستطيع بناء مجتمع المواطن والمواطنة في

وطن يحوي الجميع ، تحقيقاً للحياة الحرة الكريمة وفي العيش الرغيد وممارسة الحرية بشتى مفاهيمها الإنسانية ، الحرية العقائدية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وأيضاً عملت على إظهار التناقضات القائمة في اغلب الدساتير العربية من حيث التضارب بينها وبين المبادئ العامة والتي ترسم شكل الدولة وموقفها من تحقيق مفهوم المواطنة ، وهناك من التفصيلات ما هو أكثر وأعمق .

ثم أنتهيت في هذه الفصول بخاتمة ، استعرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها . أما فيما يتعلق بمنهج البحث ، فأرى أن أي بحث لا يمكن أن يكون مفيداً إلاّ باستخدام طرق ومناهج تتلاءم مع طبيعة البحث وموضوعاته وجديراً بالذكر ، انني استخدمت من المنهج الوصفي والتحليلي والتاريخي أساساً لكتابة الرسالة .

واخيراً لا بد لي من القول إنني حاولت الاحاطة بأهم مباحث مفهوم الاستقلال الفلسفي، وإذا كان هناك ثمة ما يؤخذ على الرسالة فهو أمر لا تخلو منه أي رسالة ، فحسبي انني قد سعيت إلى تجاوز بعض السلبيات من خلال الحصول على المصادر والمراجع ومن خلال الملاحظات القيمة التي رفدني بها أستاذي المشرف الدكتور **علي عبد الهادي المرهج** ، فله خالص شكري .

الباحث

